غدیریّتان جدیدتان ـ سید حسین مرعشی
فصلنامهٔ تخصّصی مطالعات قرآن و حدیث **سفینه**
سال دهم، شمارهٔ ۳۸ «ویژهٔ علامه امینی»، بهار ۱۳۹۲، ص ۱۰۶ ـ ۱۲۰

غدیریّتان جدیدتان للشیخ محمد مؤمن الجزائری و الشیخ محمد جعفر القاضی *

حسین مرعشی **

چکیده: نگارنده در این گفتار که به زبان عربی است، دو قصیدهٔ غدیریه از دانشوران شیعی سدهٔ یازدهم هجری قمری آورده است: شیخ محمد مؤمن جزائری (متوفی ۱۱۰۲ قمری) و شیخ محمد جعفر قاضی (متوفی ۱۱۱۵ قمری). این دو قصیده، برای نخستین بار، براساس نسخه‌های خطی و کمیاب منتشر می‌شود. نگارنده شرح حالهای این دو دانشور را به اختصار آورده است.

کلید واژه‌ها: جزائری، محمد مؤمن (متوفی ۱۱۰۲ قمری) / قاضی، محمد جعفر (متوفی ۱۱۱۵ قمری) / دانشوران شیعی ـ قرن یازدهم / قصاید غدیریه ـ قرن یازدهم / ادبیات شیعه.

---

*. هذا البحث مستخرج من أطروحة المؤلّف لنيل الدكتوراه من جامعة القدّيس يوسف اللبنانيّة (بيروت: ۲۰۱۳ م)، عنوانها: الشعر العربي الديني بإيران منذ العصر الصفوي الثاني حتّي عصر القاجار (۱۲۰۹/۱۷۹۴ - ۹۹۵/۱۵۸۷)، أعلامُه و نطاقاتُه وأغراضُه وأساليبُه الشعريّة.

**. استاد یار دانشگاه شیراز Hosein_marashi@yahaoo.com

لقد اهتمّ الشيعة و شعراؤهم بوقعة «غدير خُمّ» المعروفة اهتماماً بالغاً. و هو الموضوع الرئيسى والأكثر شُيوعاً في مدائحِهم العَلَويّة في العَصر الصفوي، خاصّةً في ظلّ العصبيّات المذهبيّة التي نشاهدُها في هذا العصر في الدولتَين الصفويّة والعثمانيّة. و قد وجدنا قصيدتَينِ غديريّتَينِ جديدتَينِ لشعراء هذا العصر، وددنا نشرهما لأوّل مرّة. والقصيدتانِ هما للشاعرَينِ: محمّد مؤمن الجزائري (١١٠٢ ق) والشيخ جعفر / محمّد جعفر الأصفهاني (١١١٥ ق) المعروف بالقاضي.

و قد حَدانا موضوع القصيدتَينِ بما لهما من أهمّيّة في حَقل الشعر الديني الملتزم و حَقل العقيدة الشيعيّة معاً، و حَدانا صاحباهما المجهولُ حقّهما و تراثُهما في ميدان الشعر العربيّ خاصّة، إلي نشر أبيات هاتَينِ القصيدتَينِ كما وجدناهما في مظانّهما، علماً بأنّهما من القصائد التي فاتَها العلّامة الأميني النجفي (ره) في كتابه الغدير إذ يذكر شعراءَ الغدير في القرن الحادي عشر الهجري. و آثرنا أن نعرّفَ الشاعرَينِ أوّلاً، و من ثمّ نأتي بالقصيدتَينِ بغيةَ دراستهما في وقت لاحق.

أوّلاً: محمّد مؤمن الجزائري

نبدأ بحثَنا بحياة محمّد مؤمن الجزائري و شعره كما يلي.

أ- حياة الجزائري و شعره

محمّد مؤمن بن محمّد قاسم بن محمّد ناصر بن محمّد الشيرازي المولد والمنشأ، الجزائريّ الأصل نسبةً إلي جزائر خوزستان. توفّي عام ١١٠٢ أو ١١١٨ بالديار الهنديّة.

و جاء في *أدب الطفّ*: «كان من العلماء العرفاء». (شبر، أدب الطف، ج ٥، ص ١٣٨)

خلّفَ الجزائري للمكتبة العربية والإسلاميّة مؤلّفاتٍ ومجموعاتٍ أدبيّةً عديدة، منها: *خزانة الخيال*[١]، *طيف الخيال*، *زهرة الحياة الدنيا*، *جامع المسائل النحويّة*، *لمع البرق*

١. قام بطبعه مصوّراً آية الله العظمى السيّد شهاب‌الدين المرعشى النجفى (ره) عام ١٣٩٣ ق.

في الفرق بين الألفاظ المتقاربة، ثمرة *الفؤاد وسمر البعاد*، وهو ديوانُه.

و يُعتبر الجزائري من الشعراء المكثرين، وله قصائد طوال في مدح الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، منها قصيدة ميميّة تذكر فيها وقعة غدير خُم تبلغ أبياتها واحداً ومائة بيت. (الجزائري، خزانة الخيال، ص ۴۰۴ ـ ۴۰۷) و من أبرز مميّزات شعر الجزائري التطويلُ والتكرارُ وكثرةُ المحسّنات البديعيّة، كما أنّه قد أفادَ من الأنماط الشعريّة الفارسيّة كالقصيدة الآتية في رثاء الحسين بن علي عليه السلام:

جاء شهر البكاء فلتبک عيني بحَثيثي على مُصابِ الحسينِ
وإمامُ الأنام من غير مَينٍ وابنُ بنتِ الرسول قرّة عيني
آه! واحسرتاه لرُزء الحسينِ (الجزائري، م.ن.، ترجمة المؤلّف للمرعشي، ص ۱۶)

و قد تكرّرَ المصراع الأخير في الأجزاء التي بعده على طريق نمط "ترجيع بَند" المعروف في الشعر الفارسي.

و للجزائري دوبيتات كثيرة، منها:

يـــجيب الله دعـــوةَ مَـــن يـــناجي
و يـــدعو مـــخلصاً والليـــل داجـــي
و حـــاشا أن يـــخيّبَ ظـــنَّ عـــبدٍ
رجا يرجو رجاءً فهو راجي (الجزائري، م.ن.، ص ۴۸۲)

ب. القصيدة الغديريّة

و قُلنا أعلاه إنّ للجزائري قصيدةً ميميّة غديريّة أوردَها في كتابه خزانة الخيال، و سوف نوردها هنا نقلاً عن هذا الكتاب، علماً بأنّ فيها كلمات لم نتمكّن من قراءتها.

۱. يـا مُـرضعاً بـلبان الشـيب والهـرمِ إلى مَ تـذكر جـيرانـاً بـذي‌سَلَمِ
۲. هـلّا أرقتَ لمـا بـانت عـلائمُه كـما أرقتَ لذكـر البـان والعـلمِ
۳. دَع همّ سلمى و سَل ماذا أهمّ وذَر سلعاً وسَل عن دوى وانسل عـن السـلمِ
۴. قُـم للـزوالِ فـقد نـادى بـ حـيّ عـلى الـ فـناء رأساً بـلاشيبٍ فـي القـمِ

٥. كم أصبحوا لا يُرى إلّا مساكنُهم قومٌ مضوا قبلَنا في الأعصر الدهُمِ
٦. ألا تحنّ؟ ألا تبكي؟ وقد ضحك الـ مشيبُ في المبيضّ من هِرَمِ
٧. أما تذكّر يوماً فيه خامدةٌ نارُ الحياة، ونارُ الموت في ضرمِ؟
٨. والدمع صارَ دماً، والعينُ ذاتُ عمىً والنطقُ ذا خرسٍ، والسمع ذا صممِ
٩. والقلب في وجلٍ، والوجه في خجلٍ والروح في عجلٍ، والجسم في ألمِ
١٠. والنفس في فلقٍ، والبال في فرقٍ والشخص في أطُمٍ من عثير الحطمِ
١١. والعبد والدار والأموال في تلفٍ والرهط والأهل والأولاد في صدمِ
١٢. تمضي إلى حفرٍ، تمشى إلى سفرٍ بغير زاد سوى الآثام والندمِ
١٣. يا حسرة! لك من علم بلا عمل ويا لك الويل من حكم بلا حكمِ
١٤. قد بعتَ دينك بالدنيا الدنيّة لِم لم تشترِ الدين بالدنيا فتغتنمِ
١٥. تبني المباني وبانت فيک ما انهدمت أركان جسمک من حدثانه الحطمِ
١٦. وعن قصورک تبني القصر مبتهجاً به وأنت غداً سارٍ إلي العدمِ
١٧. حتّى مَ تهتمّ من رثّ الثيابِ وقد تسربلَ الجسمُ ثوب الوهن والسقمِ
١٨. إلى مَ ترغب في الآثامِ معتذراً بأنّ ربّي غفورٌ واسع الكرمِ
١٩. كيف الخلاص وما أخلصتَ من عملٍ؟ كيف النجاة وما ناجيتَ في الظلمِ؟
٢٠. كيف الركونُ إلى الدنيا وما تركت حدثانُه فيک ركناً غير منهدمِ؟
٢١. كيف القرار بدار لا بقاءَ لها وقلب إقبالها يؤمي إلى العدمِ
٢٢. دار غداكلّ ذي عقل يعيش بها كذا وينعم بالأكل ذي لممِ
٢٣. دار يموت بها ذوالفضلِ من كمد وظلّ ذوالجهل في عزّ بلا نقمِ
٢٤. فغضّ طرفک عن جور الزمان وطب نفساً كعود يفوح الطيب في الضرمِ
٢٥. وخالِف النفس فيما تشتهيه فبالـ وقودِ يزداد ما بالنار من ضرمِ
٢٦. واغسل بدمعک ثوبَ الجسم عن دنس الـ آثام بل بدم كالغيث منجسمِ

۲۷. فـــإنّها حـــدث لم يـــرتفع بســـوى دم تســـاقط مـــن دمـــع بـــغير دمِ
۲۸. وحسبک العلمُ والآدابُ عن حسب والصبر فـي نـقم نـاهيک عـن نـعمِ
۲۹. فالفضلُ في الفضلِ لا في أعظُم رمّمت والفخر بالفقر لا بالمالِ والحشمِ
۳۰. طـوبى لمـقترف للـفضل مـعترف بـالذنب مـغترف مـن لجّـة الحكـمِ
۳۱. ولا توسّل بأبناء الزمانِ لدي الر رجاء والخوف مـن عُـرب ومـن عـجمِ
۳۲. فـما يسـرّک فـيهم ثـغر مـبتسم ومـا يـضرّک مـنهم غـدر مـختصمِ
۳۳. ومـالوا إذا كـنت ذا مـال، ومـالَهم إن مـلک الدهـر مـيل فـاعتبر لهـمُ
۳۴. وإن بكـيتَ عـليهم ودّا إذ ابـتسموا كـالغيم إن يـبک للأزهـار تـبتسمُ
۳۵. مـن غـفلتي خِـلتُهم مسـتيقظين بـما نـبّهتُهم إنّ بـعض الظـنّ مـن وهـمِ
۳۶. كـم مـيّت ظـنّ حـيّاً فـي المـنام وكـم يـزداد بـالهزّ نـوماً غـير مـنفطمِ
۳۷. أبغي الماءَ لي ودهري لايُساعدني عـلى اقـتناها وشـملي غـير مـنتظمِ
۳۸. كـأنّني فـي يـدِ الأيّـامِ مـدبرةً عـن العُـلى صـارم فـي كـفّ مـنهزمِ
۳۹. إن زاد صـفر يـدي قـدري فـلاعجب كـم زاد مـرتبة الأعـداء فـي الرقـمِ
۴۰. لاغروَ إن سرتُ نحو الهند من نصبٍ فالعينُ إذ رمدت ترتاح فـي الظـلمِ
۴۱- يـزيد قـدر الفـتى مـن بـعد غـربته فـالقطر درّ إذا مـا آب فـي الديـمِ
۴۲. لكـنّني لم أنـل فـيها سـوي ألم مـضني لعـمري قـد اسـتسنمت ذا ورمِ
۴۳. يا دهرُ دَعني فقد أبكي النوى بدني يا دهـرُ دَعـني فـما لي طـاقة الألمِ
۴۴. دَعـــني فـــوالله لو أهـــلكتَني أسـفاً لتـقرعنّ عـلى ال (؟) مـن نـدمِ
۴۵. دَعني فدمعيَ والوعاتُ قـد تـركا جسـمي يـعذّب بـين المـاء والضـرمِ
۴۶. فـذاک يـغرق جسـماً كـلّه سـقمٌ وتـلک تُـحرق قـلباً ذابَ مـن نـقمِ
۴۷. يا دهرُ هل ذا جزاءُ البارع الفطنِ الـ حِبر الذكيّ الأريبِ المؤمن الفهمِ؟
۴۸. هل ذا جزاء الذي جادَت قريحتُه بـمدح مَـن هـو خـيرُ الخـلقِ كـلّهم؟

٤٩. مَن في سبيل التقى نورٌ يؤمّ به وفي طريق الهدى نار على علمِ
٥٠. ومَن هو النعمة الكبري المنتجد ومَن هو العروة الوثقى لمعتصمِ
٥١- مَن ارتقي إذ عَلا مَتنَ البُراقِ علي السـ ـبعِ الطباقِ وناجى بارئَ النسمِ
٥٢. ومَن دَنا فتدلّى ثمّ قال له الر رحمنُ سَل تُعطَ واستنجِد ولاتهمِ
٥٣- محمّد المصطفى الهادي الأمينُ ومَن قد أعربَ الحقّ بين العُرب والعجمِ
٥٤. ما قال لا قطّ حتّى في تشهّدِه إذ قول لا بانتقاضِ التقى كالعدمِ
٥٥- ما قال إلّا نعم إذا اتّصلت تُعماهُ كفّ حَذارِ المنّ عن نعمِ
٥٦- لو لم يكُن مسّ نعلَيه الترابُ لما ساغَ التيمّمُ تسهيلاً على الأممِ
٥٧- نورٌ لمقتبسٍ بحرٌ لملتمسٍ كنزٌ لمغتنمٍ حبلٌ لمعتصمِ
٥٨- راعت قلوبَ دُعاة الجور سطوتُه فالذئبُ في عهده يرعى مع الغنمِ
٥٩- فرّ العدى منه في الهيجا إلى عدمٍ كما يفرّ الدجى فط الليل من ضرمِ
٦٠- لولاه ما أشرقت شمسٌ ولا قمرٌ لولا مكان الورى في ظلمة العدمِ
٦١- به التجى نجي واللهِ من غرقٍ به الخليل نجى عن حَرّ نارهم
٦٢- به العصا أثمرت عيّاً ومعجزةً لمن عصى ومَحَت آثارَ سحرهم
٦٣- مقامُه فوقَ فرق الفَرقدَينِ وإن ثوى بمثوى الثريّا كازهر في الكممِ
٦٤- لاغروَ إن لم يكُن ظلّ له فَغَدا يقفوه مُد سارَ بدر كاشف الظلمِ
٦٥- مَن كانَ معراجُه كنفَ النبيّ ومَن وطى مقام يد الرحمن بالقدمِ
٦٦- نفس الرسول أميرالمؤمنين أبوالعلى عليّ أمير العُربِ والعجمِ
٦٧- في المهد مهّد بسط العزّ إذ قتل الثعبان وهو رضيع غير منفطمِ
٦٨- مازال بين حماة الدين أنفعهم كفّاً وأمنحهم كفّاً لدى الكرمِ
٦٩- ولم يدع عنتراً يوم الضراب ولا عَمراً ولا مرحباً بهم
٧٠- أعدّ من جلدهم أكفانهم كرماً كالغسل والدمن من سرج وثوب دم

٧١- فقدّر بالسيف ما بالرمح قدّرها وخاطر بالسهم جرهاً غير ملتئمِ
٧٢- بالبيض أعرب رقماً في الظهور وبالخطى أعجم ما خطّت من الكلمِ
٧٣- من بحر نحر العدى روّى التراب دماً كيلا يعاوقه الهيجا عن الكرمِ
٧٤- وكيف يمنعن من غيث منحته أبوتراب غياث الأبحسر الخضمِ
٧٥- والبيض ما هي إذن في بحر راحته الاكنون لروح الخصم ملتقمِ
٧٦- كفّي لكفّ العدى الماضي المضارع لا في كفّه فنفاهم غبّ نهيهم
٧٧- كأنّه وهو قاني الصدر في يده بكلم مَن لم يقف من زاجر الكلمِ
٧٨- أي الوعيد التي فط النور معلمة بلا موشّحة من حُمرة القلمِ
٧٩- ما صار صارمُه في الحربِ مُنصَلِتاً لما تغمّدَ بالأجسامِ والقمرِ
٨٠- وقد أقامَ القنا في كفّه حجباً دلّت على أنّه كافٍ لكفّهم
٨١- فالسلم ما بين فتّال ومنتهبٍ والخصم ما بين مقتول ومنهزم
٨٢- ما ارتدّ طرفُه عين عن هُداه ولا صلّى إلى وَثَنٍ أصلاً ولاصنمِ
٨٣- إن كلّمَ البدرُ ليلاً وهو أظهرُ من شمسٍ وردّت لهم يوماً فلا تهمِ
٨٤- فما له فيه فخر بل ما أتيا طوعاً غدا لهما من أفضل الشيمِ
٨٥- دَع عنک في حقّه قول الغُلاةِ وقُل ما شئتَ من شرفٍ في القدر أو عظمِ
٨٦- فإنّ فضل عليّ قد عَلا وأبى من أن تقرّ عنها في قالب الكلمِ
٨٧- نصّ النبيّ عليه بالوصاية في يوم الغدير ونادى في نديّهم
٨٨- ألستُ يا معشري أولَى بأنفسكم منكم؟ فقالوا : بلى يا سيّد الأممِ
٨٩- فقال : مَن كنتُ مولاه فذاک له مولىً وهذا وصيّي وارث الحكمِ
٩٠- وضمّ بالرفع شمل النصب فانكسرت قلوب ذي النصب كسراً غير منخرمِ
٩١- فهو الأمير بأمر الله ثمّ أولوا الأمر الذين وُلاةُ العُرب والعجمِ
٩٢- أبناؤه السادةُ الغُرّ الكرامُ فهم قد أصبحوا علماً في العلم والكرمِ

٩٣- هل طهّرت آية التطهير غيرهمُ أم هل أتى «هل أتى» في غير شأنهم
٩٤- هم الهُداةُ وهُم سُفنُ النجاة وهُم ذُخرُ العُصاة جميعاً يوم جمعهمِ
٩٥- بهم تشرّفَ واللهِ البريّةُ كالأعوامِ إذ شرّفت بالأشهُر الحُرُمِ
٩٦- جرت دماء العدى من حلّ بيضهم الـ حمراء مجرى العطايا من أكفّهم
٩٧- كم رُصّعت كلمٌ من دُرّ لفظهم وأودعت حكم في سرّ علمهم
٩٨- حُبّي ثنائي رجائي فكرتي أملي لهم عليهم إليهم فيهمُ بهمُ
٩٩- فإنّني مؤمنٌ باللهِ ثمّ بهم واسمي شهيدي وهم حقّاً أولوا نعمي
١٠٠- (؟) بهم أرجو التخلّص عن سوء االمآب وهذا خير مختتمِ

ثانياً: الشيخ جعفر القاضي

وفيما يلي نتعرّفُ إلي الشيخ جعفر الأصفهاني المعروف بـ"القاضي" وما تبقّي من شعره، ومنه قصيدته الغديريّة.

أ. حياة القاضي

جعفر أو محمّد جعفر -كما يسمّيه آغابزرگ الطهراني (آغابزرگ تهرانی، الكواكب المنتشرة، ص ١٣٩) - ابن عبدالله بن إبراهيم الحُوَيزيّ الأصل، الكَمَرئيّ المولد، الأصفهانيّ المسكن، النجفيّ المضجع.

و قال الخوانساري (١٣١٣ ق) في *روضات الجنّات*: «الشيخ الفقيه، الفاضل العليم، والكامل الحكيم، قِوام‌الدين جعفر بن عبدالله بن إبراهيم الحُوَيزيّ الأصل، الكمرئيّ المولد، الأصفهانيّ المسكن، النجفيّ المضجع» (الخوانساری، روضات الجنّات، ج ٢، ص ١٨٨) و أضاف الخوانساري: «و كان من أشهر مناصبه القضاءُ بأصفهانَ المحميّة طولَ حياته بحيثُ قد عُرف به بين الأصحاب». (الخوانساری، م.ن، ج ٢، ص ١٨٩)

و قد نعتَه تلميذُه الأردبيلي الغَروي (١١٠١ ق) بـ «عارف بالأخبار والتفسير والفقه والأصول والكلام والحكمة والعربيّة» (الأردبيلی الغروی، جامع الرواة، ج ١، ص ١٥٣)؛ إلّا أنّه لا يصفُه بصفته شاعراً، كغيره من المؤرّخين والمترجمين، مثل: عبدالنبي

القزويني(بعد ١١٩١ ق) (القزوينى، تتميم أمل الآمل، ص ٩٠) والخوانساری (١٣١٣ ق) (الخوانساری، م.ن، ج ٢، ص ١٨٨) والمحدّث النوری (١٣٢٠ ق) (النوری، خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٢، ص ٥١) والمحدّث القمّی (١٣٥٩ ق) (القمّی، الفوائد الرضويّة، ص ٧٥).

توفّي القاضي سنة ١١١٥ق في أرض العراق حين توجّهه إلي حجّ بيت الله الحرام و زيارة النبيّ صلی الله علیه و آله والأئمّة علیهم السلام. و قد ودّعه الشيخ محيي الدين الحُوَيزاني (كان حيّاً في أواخر جمادي الأولي سنة ١١٢٣ ق) (الروضاتی، تكملة طبقات أعلام الشيعة، ص ٤٠٨) في قصيدة أوّلها:

هنّ السليماتِ يا سليمُ و دعها قلبيَ السقيمُ

وأورد الشاعرُ القصيدةَ بأكملها في مجموعة صغيرة كان يمتلكها العلامة الروضاتي (ره) (الروضاتی، م.ن، ص ٣٦٢ و ٣٦٣). و أشيرَ في المجموعة أنّ شاعرنا توفّي في هذا السفر في ٢٣ من شهر شعبان عام ١١١٥ ق.

وقد رثاه تلميذُه قِوام الدين السيفي القزويني (١١٤٩ق.) من قصيدة مطلعُها :

الدهرُ ينعي إلينا المجدَ والكرما والعلمَ والحلمَ والأخلاقَ والشِيَما

و ذكر الجزائري (١١٧٢ق.) القصيدةَ بأسرها في ذيله لكتاب السلافة. (الجزائری التستری، تذييل السلافة، ص ٤٢)

ب) أشعار القاضي

و قُلنا آنفاً إنّ القاضي ليس معروفاً بإنشاد الشعر، و لم نجد بين الباحثين والمترجِمين مَن يعرّفه بصفته شاعراً سوي الملّا هادي السبزواري (١٢٨٩ ق) في كتابه *الراح القَراح* ـ و هو كتاب في البلاغة ـ إذ يذكر بعضَ أشعار القاضي و يستشهد به، علماً بأنّه يسمّيه بـ «جعفر الأصفهاني». و رأينا أن نذكر ـ هنا ـ ما أورده السبزواري من أشعار القاضي توخّياً للفائدة. و الأشعار هي:

١. أبيات استشهد بها السبزواري في التورية (عشرون بيتاً)، و هي:

ضلّ سبيلَ الهدى وبانا مَن مَثّلَ القدّ منک بانا

و مَن يَخَل وجهَه شَقيقاً للوردِ والثغرِ أقحُوانا
أو قالَ ذاك الجبينُ صبحٌ والوجهُ بدرٌ فما أبانا
و أين بدر الدجى و وجهٌ قد قَمّرَ الشمسَ حيثُ بانا
ضاقَ جَناني نعيمَ روحي إذ خِلتُ شِبهاً لك الجَنانا
إن رُمتُ للقدّ منك مثلاً ألفيتُ في مُهجتي سَنانا
جوهرةٌ ذاتُ دُرّ ثَغرٍ أسقطَ عن عينيَ الجُمانا
فتنةُ قلبٍ لها فُنونٌ في الحُسنِ فاقت بها الحِسانا
و حيثُ تَفَنّنَ عن دلالٍ يزيدُ قلبي بها افتنانا
يا مَن بخالٍ يُخالُ محواً في عارض البدر قد مَحانا
و شمس خدرٍ إذا رأتها شمسُ الضحى لم تَسِر عيانا
و راشقي من نصالِ جفنٍ أعدّ قلبي لها كَنانا
و مُعجزي عن حديث طرفٍ يُحسَبُ للسحرِ تَرجُمانا
معذرةً إن ذكرتُ ما لا يقربُ منكم و لا يُدانى
قد قَصُرَ اللفظُ عن معانٍ بديعةٍ تفصحُ البيانا
نحن و جدِّ الهوي بنوه و إن أخو عِميةٍ أبانا
يا صاحِ إن جُزتَ أرضَ سَلمى سَل ما لها قد تَوَت نَوانا
و فيمَ يصلى القلوب ناراً يفيضُ منها العةونُ شانا
و صِف خُطوبَ الهوى فإمّا رَقّ لها قلبُها فَلانا
فَكَنّ باسمي و لا تُصَرّح و قُل أصابَ الردى فُلانا

(السبزواری، الراح القَراح، ص ١٣٩ ـ ١٤١)

٢- أبيات استشهد بها السبزواري في تأكيد المدح بما يُشبه الذمّ (ثلاثة أبيات)، و هي:

إلامَ خليلي لا أرى مَن أحبّه و حوليَ ممّن لا أحبّبُ جيلُ

ألم يأنَ أن ينأى النوى و يكونُ لي بظلّ أثيلاتِ الغُوَيرِ مَقيلُ
و أبصرُ أرضاً كالسماء ترى بها شموساً و لكن ما لهنّ أفولُ

(السبزواری، م.ن، ص ۲۵۶)

۳- قصيدة مسمّطة استشهد بها السبزواري في الجناس المزدوج (أربعة و عشرون بيتاً)، و قد أنشدها القاضي في آقا حسين الخوانساري[1] (المتوفّي ۱۰۹۹ ق) على غرار القصيدة الطنطرانيّة. و القصيدة هي:

يا غزالاً لحظُه للصارم القَتّالِ تال مُهجتي من حُبّ طرفك المِكسالِ سال
جملة العُشّاق قد أضحوا عبيداً في الهوي حُبّ مَن أهوى علي الأبدانِ والأموالِ وال
لا تَلُمني إذ تَراني في الهوى أهوى فكَم من لبيبٍ مُبصرٍ صاحٍ من الأموالِ وال
صيّر الأسقامُ جسمي كالحنايا ساهماً حين سهمٌ في الحَشا من أعيُنِ الآجالِ جال
كم أجوبُ البيدَ؟ كم أطوي الفَيافي؟ سادتي! إنّ حالي بعدكم من كثرة التِرحالِ حال
مُذ نأيتُ القلبَ يا ذا الطلعةِ الحَسناء ناء نجّني فاليومَ لي من كثرة البأساء ساء
قُم تكلّم من فمٍ عطرٍ على المرجانِ جان خلّصِ العُشّاقَ من داءٍ إلى الأبدانِ دان
رجّعِ الأصواتَ تُرجِع لي حياةً قد مضت إنّ حَبني منک يا ذا الصوتِ والألحانِ حان
كم بلا وترٍ ألاقي من لحاظک فترةً إنّ عمري في الهوى من فاترِ الأجفانِ فان
حُبّكم يا سادتي! في القلبِ قِدماً قد رسى مَن يَقُل لم أهوِكُم في سالفِ الأزمانِ مان
عاذِلي لا تُقسِ لي قلباً فحسّي شدّتي لِن فإنّ القلبَ منّي في هوى الغِزلانِ لان
إنّ قلبي فى الهوى مذخلّة الآرامِ رام

۱. حسين بن محمّد بن حسين الخوانساري. ولد بخوانسار سنة ۱۰۱۶ ق. تتلمذَ على المحقّق الميرفندرسكي والمحقّق المجلسي الأوّل، انتهت إليه رئاسة المذهب في دهره، و تولّي برهة من الزمن رئاسة الملک نيابة عن السلطان سليمان الصفوي. راجع: الحرّ العاملي، أمل الآمل، ج ۲، ص ۱۰۱؛ الأردبيلي الغروي، جامع الرواة، ج ۱، ص ۲۳۵؛ ابن معصوم المدني، سُلافة العصر، ص ۴۹۱؛ الخوانساري، روضات الجنّات، ج ۲، ص ۳۴۹؛ الأمين، أعيان الشيعة، ج ۶، ص ۱۴۸.

لا يُبالي عزلَ مَن في الحُبّ بالآلامِ لام

يا حبيباً نائياً من منظرِ الأبصارِ صار إنّ بعد البُعد قلبي جملة الأقطارِ طار

لا تعجّب صاحِ منّي غير صاحٍ في الهوى إنّ لبّي مُذ رماني طَرفُه السّحّارُ حار

صرتُ سلماً في هوي سَلمٍ فيا بدرَ الدجى فيمَ قد هاجرتُ من في زمرةِ الأبصارِ صار

صاحِ! دَع سَلمى وسَل ما نالَني في حُبّها مِن بلاءٍ لو جرى يوماً علي الأحجارِ جار

سِر إلي نجدِ العُلى تَجدِ الهوى مِن ماجدٍ مُستضاءٍ زَندُه في الفضلِ بالأنوارِ وار

مُرشدُ الطّلابِ مَن مِن كفّه الإصلاحُ لاح

فكرُه في مُعضلاتِ العلمِ بالإصباحِ باح

ماهرٌ في كلّ أمرٍ مُعقَلِ الإرشادِ شاد مُهتدٍ هادٍ على المحسودِ والحُسّادِ ساد

فخرُ أربابِ النهي آقا حُسين ذوالتّقى الذي من كفّه بحرٌ على الأمجادِ جاد

يرتَوي من فيضه ملّ على قدرٍ له ليس إلّا مَن أتى مثلي من القُصّادِ صاد

ذوالعُلى شمسُ الضحى بدر الدجى نجم الهدى كم فتىً من نوره عن حِندِسِ الإلحادِ حاد

مُهتدى العُبّادِ مولى الفضلِ أبيضُ شارقٌ نورُه في الدهرِ للعلماء والزهّادِ هاد

لو ترى زُبراً له عن مثله السّحّارِ حار

خِلتَ ماءَ الخضرِ من مكنونِ ذي الأسفارِ فار

(السبزواری، م.ن، ص ٣٦٢ ـ ٣٦٤)

و بعد نقل أشعار الشاعر القاضي وفقَ ما وجدناها في كتاب *الراح القَراح*، وصلنا إلي غديريّته، و سنوردُها فيما يلي كما وردَ في مخطوطة المكتبة الوطنيّة بطهران.

ج) القصيدة الغديريّة

فى المكتبة الوطنيّة بطهران، مخطوط يتيم (المخطوطة المرقّمة ١٢١٧) يتضمّن العديد من أعمال شعراء الشيعة و علمائهم الشعريّة. و من جملة هذه القصائد قصيدة نونيّة غديريّة أنشدَها الشيخ جعفر القاضي. و للقصيدة اثنانِ و أربعون بيتاً كالتالي:

١- هذا وميضٌ سرى أو برقُ أسنانِ و تلک نارٌ بَدَت أم خدّک القاني

۲- و لاحَ روضٌ لنا أم وردُ جنّتها و ماسَ قدّک أم خودٌ من البانِ
۳- فَرعاءُ قد عادَرَت نفسي غدائرَها خفيّة كلّ مَن يَذكُرنَ يَنساني
۴- غَرّاءُ عزّ فؤادي صبح وجنتها حتّى تخيّلَ أن لا ليل هجرانِ
۵- سحّارة العينِ أن ينهشنَ طرّتها فإنّ ناظرَها بالسحرِ دَقّاني
۶- حييّةُ الطرفِ لاتبدو إذا نظرت إنسانُ مُقلتِها في عينِ إنسانِ
۷- أبكي و في كلّ يوم لي جديدُ هوىً كذاک حالي ماكرّ الجديدانِ
۸- يا صاحِ! قد صاحَ ناعي الليلِ فاغتنمَن شرابَ كأسٍ كعينِ الديكِ ملآنِ
۹- زجاجة ذابَ فيها آنية بها الذي يشتهيه ذوالهوى آنِ
۱۰- اغرب بها في يد الساقي سنا لهبٍ و حين ما يتحمّي ماء حيوانِ
۱۱- ترتجّ في كفّ حاسيها إذا التمعت كأنّها قبسةٌ في كفّ عَجلانِ
۱۲- فهاتِ وانفِ همومَ الفقرِ عن خَلَدي بفضّةٍ مُلئت من ذوبِ عِقيانِ
۱۳- و أنتَ يا أيّها الشاوي بها قسماً ألا تهيجنا من طيبِ ألحانِ
۱۴- فشدّ و غنّ واعلُ الصوتَ مذكّراً ظبياً أغنّ يناغي بينَ غِزلانِ
۱۵- قد زانَ وجنتَها صُدغٌ أحاطَ بها أحسِن بها وردة حفّت بريحانِ
۱۶- أإن رَمَت كبدي أجفانُها نبلاً هواك عن كلّ ما أهواه أغناني
۱۷- أبيتُ منطوياً في القلبِ جمر غَضاً والليلُ أخفى لويل المُدنفِ العاني
۱۸- واليومُ لي كلّه في البحرِ هاجرةٌ أحرّ من دمعِ ثكلى ذاتِ إخوانِ
۱۹- دَعِ الفتى يا فتى إنّ الهوى شَجَنٌ مَن رامَه ما فتى من طولِ أشجانِ
۲۰- طِب عن حياتِک نفساً إذ تُوافقُني فحتفُ مَن دانَ ديني في الهوي دانِ
۲۱- وهمة قفرةٌ طخياءُ موحشةٌ يخشى مسالكَها آسادُ خفّانِ
۲۲- يلهو بها الليثُ عن أشبالِ حذراً وليسَ فيها سوى رُخمٍ و عِقيانِ
۲۳- يضلّ فيها القَطا مِن (؟) و يُرى نسرُ السماء بها في لونِ غِربانِ
۲۴- و لُجتُ فيها وُلوجَ الليثِ غابتَه شمراً غيرَ رِعديدٍ و لا واني

٢٥- و لا اعتمدتُ على جيشٍ يُعاضدُني و لا و ثقتُ بأنصارٍ وأعوانِ
٢٦- بل كانَ مستمسكي بالانفصامِ لها من العُرى العروةَ الوثقى لإيمانِ
٢٧- و لاءَ طائفةٍ أضحى ولاؤهُمُ حبلاً متيناً هو التالي لقرآنِ
٢٨- هم الأولى ما ألوا جهداً و ما وهنوا في رعي آلٍ و في إيلاءِ إحسانِ
٢٩- الأطولونَ يدا، الأوسعونَ ندى الأحسنونَ هُدى، عُرفٌ و عِرفانِ
٣٠- أبناءُ هاشمٍ الميمونِ طائرُه لهم عُلىً جلّ عن إدراكِ أذهانِ
٣١- رهطُ النبيّ الذي لولاه ما بزغت شمسُ الوجودِ على أشباحِ إمكانِ
٣٢- هم خيرةُ الدينِ والدنيا و خيرُهُمُ الـ مأخوذُ طاعتُه في كلّ أديانِ
٣٣- وصيّ أحمدَ مَن لو رامَ مفتخراً كفى له آية آيات رحمانِ
٣٤- و هل أتى هل أتى إلّا مبيّنةً عن فضلِه خيرَ إيضاحٍ و تبيانِ
٣٥- هو الإمامُ الذي الرحمنُ طهّرَه مِن كلّ رجسٍ و لم يسجد لأوثانِ
٣٦- شمسٌ بلا كسفٍ، بدرٌ بلا كلفٍ بحرٌ بلا نزفٍ، فردٌ بلا ثانِ
٣٧- عجبتُ من سوءِ حظّ القومِ إذ عدلوا عن القسيمِ لجنّاتٍ و نيرانِ
٣٨- قد أخّروا من رسول اللهِ قدّمَه يومَ الغديرِ بإجهادٍ و إعلانِ
٣٩- يقولُ: مَن كنتُ مولاه فليسَ له مولىً سواهُ و مَن عاداه عاداني
٤٠- إنّي برئتُ إلى الرحمنِ عن عُمَرٍ و صاحبَيه أبي بكرٍ و عُثمانِ
٤١- هم الأولى نَقَضوا ميثاقَهم و عزوا وحيَ الكلامِ إلى هجرٍ و بُهتانِ
٤٢- ولاؤكُم سادتي! ديني و معتقدي يا ربّ ثقّل بهم في الحشرِ ميزاني

المصادر والمراجع

١. آغابزرگ الطهرانی، الكواكب المنتثرة في القرن الثاني بعد العشرة. تحقيق: علی نقی منزوی، طهران: دانشگاه تهران، ١٣٧٢ ش.

٢. ابن معصوم المدنی، علی بن أحمد (١١٢٠ ق). سُلافة العَصر في محاسن الشعراء بكلّ مصر. مصوّرة عن الطبعة المصريّة، طهران: المكتبة المرتضويّة لإحياء الآثار الجعفريّة، ١٣٨٣ ش.

۳. الأردبیلی الغَرَوی، محمّد (۱۱۰۱ ق). جامع الرواة. قم: منشورات مکتبة المرعشی، ۱۴۰۳ ق.

۴. الأمین، محسن. أعیان الشیعة. حقّقه حسن الأمین، بیروت: دار التعارف للمطبوعات، ۱۴۰۶ ق.

۵. الجزائری، محمّد مؤمن (۱۱۰۲ ق). خزانة الخیال. قدّم له شهاب‌الدین المرعشی النجفی، ط [مصوّرة] قم: مکتبة بصیرتی، ۱۳۹۳ ق.

۶. الجزائری التستری، عبدالله (۱۱۷۲ ق). تذییل سُلافة العَصر. حقّقه: هادی بالیل الموسوی، قم: المکتبة الأدبیّة المختصّة، ۱۴۲۰ ق.

۷. الحُرّ العامِلی، محمّد بن الحسن (۱۱۰۴). أمَل الآمِل. حقّقه: أحمد الحسینی الإشکوری، بیروت: مؤسّسة الوفاء، ۱۴۰۳ ق.

۸. الخُوانساری، محمّدباقر (۱۳۱۳ ق). روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات. بیروت: الدار الإسلامیّة، ۱۴۱۱ ق.

۹. الروضاتی، محمّدعلی. تکملة طبقات أعلام الشیعة، إعداد محمّد برکت. طهران: مکتبة مجلس الشوری، ۱۳۹۱ ش.

۱۰. السبزواری، ملّا هادی (۱۲۸۹ ق). الراح القراح. صحّحه: مجید هادی‌زاده، طهران: انجمن آثار و مفاخر فرهنگی، ۱۳۸۱ ش.

۱۱. شُبّر، جواد. أدب الطفّ. بیروت: دارالمرتضی، ۱۴۰۹ ق.

۱۲. القزوینی، عبدالنبی (بعد ۱۲۰۰ ق). تتمیم أمل الآمل. حقّقه: أحمد الحسینی الأشکوری، قم: مکتبة آیة الله المرعشی العامّة، ۱۴۰۷ ق.

۱۳. القمّی، عبّاس (۱۳۵۹ ق). الفوائد الرضویّة. قم: بوستان کتاب.

۱۴. المخطوطة المرقّمة ۱۲۱۷: مجموعة شعریّة، لا ناسخ، طهران: المکتبة الوطنیّة، ۱۲۱۷ ق، ۲۳۶ ورقة، ۹۰ * ۱۷۵ سم، ۲۹ سطراً.

۱۵. النوری، حسین (۱۳۲۰ ق). خاتمة مستدرک الوسائل. تحقیق: مؤسّسة آل‌البیت لإحیاء التراث، قم: مؤسّسة آل‌البیت لإحیاء التراث، ۱۴۱۵ ـ ۱۴۱۶.